

- **الكتاب: مكانة بيت المقدس**
- **تأليف: د. محمد عمارة**
  د. عبد الحليم عويس
- **السلسلة: رسائل القدس**
- **قياس الصفحة: ١٠× ١٤**
- **رقم الإيداع: ٩٩٩٥ / ٢٠٠٢**

مركز الإعلام العربي

ص. ب ٩٣ الهرم ـ الجيزة ـ مصر

- هاتف: ٣٨٣٣١٩٨/٣٨٤٤٤٢٢/٣٨٣٣٣٦١
- التوزيع: ٧٤٤٥٤٥٥ • ف: ٣٨٥١٧٥١(٠٠٢٠٢)
- الموقع على شبكة الإنترنت:

Home Page:www.Resalah4u.com

- البريد الإليكتروني:

E .Mail:media-c@ie-eg.com

•••

مؤسسة القدس

لبنان - بيروت - شارع الحمراء

بناية السارولا - ط ١١

- هاتف: ٩٦١-١-٧٥١٧٢٤/٥+
- فاكس: ٩٦١ -١- ٧٥١٧٢٦+
- العنوان البريدي:

بيروت - الحمراء: ٠١١٣/٥٦٤٧

- البريد الإليكتروني:

alquds_institation@yahoo.com



الإخراج الفني

أحمد عبد المنعم

الغلاف

إيهاب عبد الله



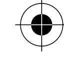
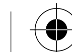
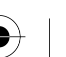
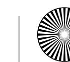
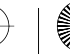


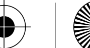


مقدمة الناشر

تأتى سلسلة «رسائل القدس» إسهامًا فى التوعية بقضية فلسطين وفى القلب منها قضية القدس فى صورة وشكل مختلفين لتسهِّل على الراغبين فهم ووعى القضية بطريقة موجزة بسيطة..

وتأتي هذه الرسالة ـ إضافة إلى سابقاتها ـ التي يصدرها **مركز الإعلام العربى بالقاهرة و مؤسسة القدس ببيروت** لاثنين من كبار المفكرين هما: **الدكتور محمد عمارة، والدكتور عبد الحليم عويس** ـ إسهامًا من الإسهامات المتعددة نحو فهم القضية واستيعاب خلفياتها الإسلامية، والله نسأل أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.




إسـلاميــة الــقــدس ..

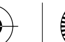
مــاذا تعنــى؟

أ.د. محمد عمارة

كاتب ومفكر إسلامى










القدس – كل القدس – حرم مقدس كما أن مكة – كل مكة – حرم مقدس .. ولقد أطلق القرآن الكريم على هذه المدينة المقدسة مصطلح «المسجد» قبل الفتح الإسلامى لها، وقبل بناء المساجد الإسلامية فيها .. فهى «مسجد» كما أن مكة «مسجد» – أى قبلة للساجدين – حدث ذلك منذ العام الثانى قبل الهجرة – عام معجزة الإسراء

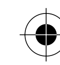
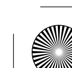
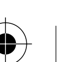
﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ (الإسراء:١) .

فالإسراء قد حدث من مكة – المسجد – إلى القدس – المسجد – وهو قد أقام رباطًا بين هذين الحرمين المقدّسين، وهو آية من آيات الله سبحانه وتعالى .. وهو رباط يجسد وحدة الدين الإلهى عبر كل النبوات والرسالات.. فالمسجد الحرام، الذى هو أول بيت وضع للناس فى الأرض، والذى أصبح قبلة أمة الرسالة الخاتمة، عندما يربط الله – بالإسراء – بينه وبين القدس – قبلة النبوات السابقة – إنما يرمز بذلك إلى وحدة الدين الإلهى، وإلى اكتماله بالإسلام، وإلى جمع العقيدة الإسلامية الإيمان بكل الرسل والرسالات من آدم إلى محمد (عليهم الصلاة والسلام) لا نفرق بين أحد من رسله. وإذا كان المسلمون هم الذين سموا هذه

المدينة: «القدس»، و«القدس الشريف»، و«بيت المقدس»، و«الحرم القدسى»، منذ فتحهم لها (سنة ١٥ هـ) – وذلك بعد أن كان اسمها يومئذ «إيليا الكبرى» – فلقد صنعوا ذلك ليعلنوا بهذه الأسماء القدسية عن قداستها، ولم يكن قد قام فيها يومئذ مسجد من مساجد الإسلام، ولا دخل أحد من أهلها فى دين الإسلام!

لقد عاملوها – كما شاء الله لها – معاملة الحرم المقدس.. وتجلى هذا الاعتقاد الإسلامى فى أحداث الفتوح، فكما أن مكة حرم مقدس، ولذلك لا يحل فيها القتال.. كذلك عامل الفاتحون المسلمون القدس، فحاصرها جيش المسلمين، بقيادة أبى عبيدة بن الجراح، حتى رغب أهلها فى الصلح، دونما قتال؛ لأنها حرم لا يحل فيها القتال.. بل لقد ظلت هذه الحرمة عقيدة إسلامية مرعية عبر عصور التاريخ.

فعلى الرغم من أن الصليبيين الذين اقتحموا القدس عنوة (٤٩٢ هـ ١٠٩٩م) قد أبادوا جميع مَنْ بها من المسلمين، عندما أقاموا فيها مجزرة دامت سبعة أيام، لم يسلم من الذبح فيها حتى الذين احتموا بالمسجد الأقصى، فذبحهم الصليبيون، حتى جرت الدماء فى المسجد كالنهر، وسبحت فيه خيول الصليبيين حتى لجُم هذه الخيول!! على الرغم






من ذلك، عامل صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ ١١٣٧ - ١١٩٣م) هذه المدينة المقدسة معاملة الحرم الذى لا يجوز، ولا يحل فيه القتال .. فحاصرها (٥٨٣ هـ - ١١٨٧م) حتى صالح الصليبيين فيها على التسليم.. فهى ليست مجرد مدينة.. وإنما هى حرم، وبعبارة صلاح الدين: «إنها إرثنا وإرث كل أصحاب الديانات.. فيها تجتمع الملائكة.. ومنها عُرج بنبينا إلى السماء».

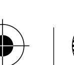
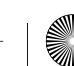
قدســـية المدينـــة

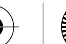
ولتقديس الإسلام لهذه المدينة، باعتبارها مسجدًا وحرمًا وقبلة للنبوات السابقة.. ولأن الإسلام وحده هو الذى جعل الإيمان بالنبوات والرسالات السابقة جزءًا من عقيدته ـ تميزت السلطة الإسلامية عبر تاريخ السيادة السياسية للدولة الإسلامية على مدينة القدس، بإشاعة قدسيتها لكل أصحاب المقدسات من أبناء كل الديانات السماوية..

فكانت الدولة الإسلامية وحدها والسلطة الإسلامية دون سواها هى المؤتمنة والأمينة على المقدسات غير الإسلامية فى هذا الحرم المقدس الشريف.. بينما كان العكس - أى الاحتكار - هو موقف كل السلطات غير

الإسلامية التى استولت على مدينة القدس.. فالرومان قد احتكروها لأنفسهم، دون اليهود والنصارى فى حقبة الوثنية الرومانية، وبعد أن دخلوا فى النصرانية احتكروها دون اليهود، وعندما فتح المسلمون القدس، كان من مطالب أهلها - النصارى - ألا يسكن فيها أحد من اليهود، ولا أحد من اللصوص! وصنع هذا الاحتكار ـ أيضًا ـ الصليبيون الذين احتلوها ٩٠ سنة؛ فبعد أن ذبحوا اليهود مع المسلمين احتكروا مقدسات المدينة، حتى لقد حولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة لاتينية، وإلى إصطبل لخيول فرسان الإقطاع اللاتين! ونفس الاحتكار يصنعه الصهاينة اليوم، عندما يطاردون الوجود العربى فيها - إسلامي ونصراني - ويهددون المقدسات بالاستيلاء والهدم والتحويل!

والفارق بين المسلمين وغيرهم فى هذه القضية - إشاعة قدسية القدس أو احتكارها - ليس مجرد تسامح يقابل التعصب.. وإنما هو دين واعتقاد دينى.. فالإسلام وحده هو الذى يعترف بكل الرسالات والشرائع الدينية، ومن ثم يعترف بقدسية مقدسات أهلها، ولقد جعلت دولته مِن أمان وتأمين غير المسلمين على عقائدهم وصلبانهم وكنائسهم - مع أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم - دينًا وعهدًا وميثاقًا.. بينما اليهودية لا تعترف لا بالمسيحية ولا بالإسلام..





والنصرانية تتخذ نفس الموقف من الآخر الدينى ومن مقدساته.. ولذلك، لم تكن صدفة، ولم يكن مجرد تسامح أن تشيع قدسية القدس بين كل أصحاب المقدسات فى ظل السيادة الإسلامية على القدس، وأن تقع هذه المدينة وقداستها فى الاحتكار عندما يحتلها الآخرون.. الأمر الذى يجعل من السيادة الإسلامية على القدس المصلحة المحققة لكل أصحاب الديانات، وليس فقط للمتدينين بدين الإسلام..

ولأن هذه هى حقيقة الاعتقاد الإسلامى، التى جسدتها السيادة الإسلامية على القدس، فلقد رأينا - عبر تاريخ هذه المدينة المقدسة - حجج أوقاف الكنائس النصرانية تنص على أن يكون «نظار» هذه الأوقاف الكنسية من المسلمين.. بل وتنص كثير من هذه الحجج على أن تكون «مفاتيح» الكنائس بيد أسر مقدسية مسلمة.

ولأن هذا هو مقام القدس فى عقيدة الإسلام والمسلمين وموقعها فى التاريخ الإسلامى.. ومكانتها فى الدولة الإسلامية.. فإننا يجب أن نتعامل معها، فى هذا الطور من أطوار الصراع التاريخى حولها وعليها، باعتبارها أكثر من قطعة أرض.. وأعظم من مدينة.. وأهم من عاصمة للدولة الفلسطينية.. وأخطر من كونها قلب الصراع العربى

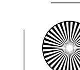
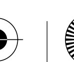
الصهيونى.. إنها كل ذلك وأكثر من ذلك.. إنها جزء من عقيدة أمة يبلغ تعدادها مليار وثلث المليار، وليست مجرد قضية وطنية لثمانية ملايين من الفلسطينيين، ولا مجرد مشكلة قومية لأقل من ثلاثمائة مليون عربى.. إنها عاصمة الوطن الفلسطينى.. ومحور الصراع العربى ـ الصهيونى، وفوق كل ذلك، إنها عقيدة إسلامية، وحرم مقدس، والربط بينها وبين الحرم المكى هو التجسيد لعقيدة وحدة دين الله، التى جاء بها الإسلام.

فإسلامية القدس، وإسلامية موقفنا فى الصراع حولها، يضيف للإمكانات الوطنية الفلسطينية والطاقات القومية العربية، ولا ينتقص منها.. بل إن هذه الإسلامية لقضية القدس، هى - كما أشرنا - فى مصلحة سائر أصحاب المقدسات من سائر المتدينين بالديانات.

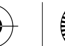
أبعاد القضية الفلسطينية

وإذا كانت هذه هى حقيقة أبعاد موقفنا من قضية القدس.. فإن الوعى بهذه الحقيقة، واستدعاء طاقات هذه الأبعاد الإسلامية.. تتزايد وتشتد عندما نعلم أبعاد الموقف المعادى إزاء هذه المدينة المقدسة.

صحيح أننا نواجه فى القدس وفلسطين، مشروعًا





استعماريًا استيطانيًا عنصريًا، لكنه ليس كغيره من المشاريع الاستيطانية العنصرية – كالذى قام فى جنوب أفريقيا مثلاً – وإنما نواجه أبعادًا أسطورية دينية لهذا المشروع الاستيطانى الاستعمارى العنصرى، تجعل من استدعاء الأبعاد الدينية الإسلامية لموقفنا من هذه القضية ضرورة صراعية، فضلاً عن أنها دين واعتقاد..

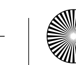
فهذا المشروع الاستيطانى العنصرى، القائم الآن فى القدس وفلسطين، قد تبلور أول ما تبلور، فى اللاهوت البروتستانتى الغربى، انطلاقًا من الفكر الأسطورى حول «رؤيا يوحنا»، وعودة المسيح – عليه السلام – ليحكم الأرض ألف سنة سعيدة، بعد معركة «هَرْمجدّون» والذى جعل من جمع اليهود وحشدهم فى فلسطين، وتهويد القدس، وإقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، أى جعل من تحقيق العلو الصهيونى دينًا يتدين به البروتستانت فى الغرب.. ثم حدث التبشير بهذا المشروع البروتستانتى بين الجماعات اليهودية، فتلقفته الصهيونية – كحركة قومية عنصرية – والإمبريالية الغربية – إبان زحفها على الشرق الإسلامى – وبحثها عن أقليات توظفها – كمواطىء أقدام – فى المشروع الاستعمارى.. فاجتمعت لهذا المشروع الاستيطانى الاستعمارى العنصرى عناصر متعددة ومركبة.. منها:

١ – البعد الدينى فى لاهوت النصرانية الغربية.. وهو الذى بدأ بروتستانتيًا، ثم مارس الابتزاز والتأثير على الكنيسة الكاثوليكية الغربية، حتى جعلها تشرع فى «تهويد نصرانيتها» بدلاً من تحقيق الاعتراف اليهودى بالنصرانية! فهى الآن تسعى لتجعل «يهوه» إلهها! وتتحدث عن «دمج المسيح فى إسرائيل».. وتعدّل، ليس فقط فى «الفكر المسيحى» وإنما فى «الأناجيل والصلوات»! لتصل إلى طلب «الغفران» من اليهود، بعد أن عاشت قرونًا تبيع «صكوك الغفران»!

٢ – والبعد الاستعمارى العلمانى – بل والدهرى الوضعى والمادي – فبونابرت (١٧٦٩ – ١٨٢١) الوضعى الدهرى.. هو أول من دعا إلى توظيف هذه الأساطير الدينية فى خدمة مشروعه الاستعمارى.. و«سايكس» – السياسى الاستعمارى الإنجليزى ـ الذى عقد مع «بيكو» الفرنسى – معاهدة «سيكس ـ بيكو» سنة ١٩١٦م لتمزيق الدولة العثمانية، وتوزيع أجزائها العربية بين القوى الاستعمارية.. قد أقاموا له تمثالاً فى قريته «سلدمير» بمقاطعة «يوركشاير» مكتوب عليه.. «ابتهجى يا قدس»..

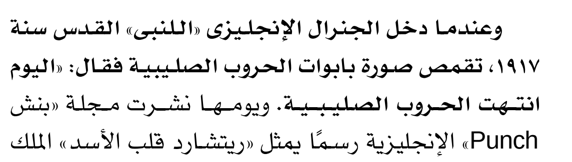
فالقدس هى هدف الاستعمار الغربى العلمانى كما هى هدف اللاهوت النصرانى الغربى.









وعندما دخل الجنرال الإنجليزى «اللنبى» القدس سنة ١٩١٧، تقمص صورة بابوات الحروب الصليبية فقال: «اليوم انتهت الحروب الصليبية. ويومها نشرت مجلة «بنش Punch» الإنجليزية رسمًا يمثل «ريتشارد قلب الأسد» الملك الصليبى وهو يقول: «الآن تحقق حلمى».

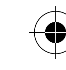
أما الجنرال الفرنسى «جورو» الذى يرفع راية العلمانية الفرنسية المتطرفة – فهو الذى يذهب – عند دخوله دمشق سنة ١٩٢٠م إلى قبر صلاح الدين الأيوبى ليركله بقدمه، ويقول: «**ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين**»!

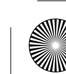
فالبعد العلمانى الغربى، يحالف ويعانق ويساند ويوظف البعد اللاهوتى الغربى فى الصراع على القدس وفلسطين .

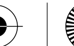
٣ – والبعد الإمبريالى الأمريكى المعاصر، الجامع بين الدين والاستعمار، ها هو يوظف «المسيحية الصهيونية» فى خدمة «تديين» الاغتصاب الصهيونى ـ الغربى للقدس وفلسطين.. فالكونجرس الأمريكى، عندما يقرر فى سنة ١٩٩٥ نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، وبنائها على أرض الأوقاف الخيرية الإسلامية، يقول فى مقدمة قراره هذا: «إن القدس هى الوطن الروحى لليهودية» مع أن هذه القدس لم يرها نبي اليهودية موسى، عليه السلام، ولم تنزل فيها توراة اليهودية.. وإذا كان داود وسليمان – عليهما السلام – قد عاشا فيها برهة من تاريخها الطويل، فهما – بنظر اليهود – ملوك وليسوا رسلاً ولا أنبياء.. فلم.. ومتى كانت القدس الوطن الروحى لليهودية؟! إن الإمبريالية تحوِّل الأساطير إلى دين تدعم به الاغتصاب!

٤– وأخيرًا، البعد العنصرى الصهيونى، الذى حول اليهودية إلى عنصرية صرفة، لا علاقة لها بذلك الدين السماوى الذى أنزله الله على موسى، عليه السلام.. فتعريف اليهودى – فى دائرة معارف كيانها الاستيطانى – هو «المولود من أم يهودية».. أى أن هذا العامل «البيولوجى»، وليس التدين بالدين، هو الذى يحدد يهودية اليهودى.. فالمولود من أم يهودية – حتى ولو كان ابن زنا.. أو ملحدًا – يصبح يهوديًا، ومن شعب الله المختار، وصاحب الحق فى الاستيطان والاغتصاب للقدس وفلسطين!!

هكذا، نواجه – فى القدس وفلسطين – استعمارًا استيطانيًا إمبرياليًا عنصريًا، يوظف الأساطير والأوهام والأكاذيب، ليجعلها دينًا يدعم المشروع الاستعمارى، و«روحانية» تغلِّف الاستيطان العنصرى.. فهل نترك العدو يدعم الباطل بالأساطير.. ونهمل – نحن – تأييد الحق الفلسطينى الوطني، والمطلب العربى القومى بحقائق الوحى الإلهى، وصادق الاعتقاد الديني، وناصع صفحات واقع








الحضارة والتاريخ؟!

إن الذين يخافون من «أسلمة» الصراع حول القدس وفلسطين - حتى إذا حَسُنَتْ نواياهم - هم كالسفهاء، الذين لا يعرفون قيمة «الأسلمة الإيمانية»، التى ورثوها عن الأجداد فى هذا الصراع التاريخى الطويل.. وهم بهذا السفه إنما ينزعون من الأمة أمضى أسلحتها فى هذا الصراع، فيرجحون بذلك كفة الأعداء فى هذا الصراع.

إسلامية القدس هى وحدها ضمان شيوع قدسيتها بين جميع أصحاب المقدسات، من كل الديانات.. ومن ثم فإنها ضمان عدم احتكارها.. وهو الاحتكار الذى يهددها بالتهويد فى هذه الأيام.

■●■

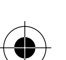
القسم الثاني

مكانة بيت المقدس فى الإسلام وعند المسلمين

أ.د. عبد الحليم عويس

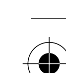
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية







لكى نعرف مكانة بيت المقدس فى الإسلام، فإننا نجد أنفسنا ملزمين بالرجوع إلى المصادر الإسلامية الأساسية: (القرآن والسنة) مكتفين بتقديم بعض النصوص الواردة فى الموضوع.

فــي القــرآن والســنة

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله﴾ (الإسراء: ١)

وقد أسرى بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وعرج به إلى السماء قبل الهجرة النبوية بعام وبضعة أشهر عام (٦٢١م) ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): «**لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى**» (متفق عليه).

ويقول - أيضًا: «**فضلت الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، وفى مسجدى بألف صلاة، وفى مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة**» (رواه الإمام أحمد).

ويقول أبو ذر الغفارى: قلت لرسول الله: يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أولاً؟ قال: **المسجد الحرام**، قلت ثم أى؟ قال: **المسجد الأقصى**، قلت: كم بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**» (متفق عليه).

ويقول أبو أمامة الباهلى: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله - عز وجل - وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**» (رواه الإمام أحمد فى مسنده).

إن المسجد الأقصى كما نرى من النصوص الإسلامية:

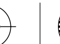
- مسرى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومنطلق عروجه.
- وهو أولى القبلتين.
- وثالث المساجد التى تشد إليها الرحال فى الإسلام.
- وثانى مسجدين وضعا فى الأرض.
- وهو منزل مبارك تضاعف فيه الحسنات، وتغفر فيه الذنوب.

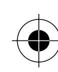
عند الصحابة والتابعين

ولهذه القداسة، وبناء على هذه المكانة، نظر المسلمون إلى بيت المقدس على أنه مزار شريف، ومنزل مبارك، وموضع مقدس كريم، فشدوا إليه الرحال، وأحرموا منه للحج والعمرة، وزاروه







لذاته بغية الصلاة والثواب، وأحاطوه برعايتهم الدينية الكريمة.

وقد أحرم الخليفة عمر بن الخطاب نفسه للحج والعمرة من المسجد الأقصى، كما أحرم منه سعيد ابن العاص - أحد المبشرين بالجنة، وقدم سعد بن أبى وقاص - قائد جيش القادسية - إلى المسجد الأقصى، فأحرم منه بعمرة، وكذلك فعل الصحابة: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، ومحمود بن الربيع الأنصارى الخزرجى.

أما الصحابة والفقهاء وأعلام الفكر الإسلامى الذين زاروا بيت المقدس، وبعضهم أقام فيه، فهم أكثر من أن يحصوا، وحسبنا أن نذكر بعضهم لندل على المكانة الدينية التى احتلها بيت المقدس فى فكر المسلمين وحضارتهم.

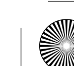
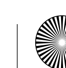
فمن هؤلاء(١) أبو عبيدة بن الجراح، وصفية بنت حيى ـ زوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعاذ بن جبل، وبلال بن رباح - مؤذن الرسول - الذى رفض الأذان بعد وفاة الرسول فلم يؤذن إلا بعد فتح بيت المقدس، وعياض بن غنيم، وعبد الله بن عمر، وخالد بن الوليد، وأبو ذر الغفارى، وأبو الدرداء عويمر، وعبادة ابن الصامت، وسلمان الفارسى، وأبو مسعود الأنصارى، وتميم الدارى، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن سلام، وسعيد بن زيد،

ومرة بن كعب، وشداد بن أوس، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، ومعاوية بن أبى سفيان، وعوف بن مالك، وأبو جمعة الأنصارى، وكل هؤلاء من طبقة صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

ومن التابعين والفقهاء الأعلام: مالك بن دينار، وأويس القرنى، وكعب الأحبار، ورابعة العدوية، والإمام الأوزاعى، وسفيان الثورى، وإبراهيم بن أدهم، ومقاتل بن سفيان، والليث بن سعد، ووكيع بن الجراح، والإمام الشافعى، وأبو جعفر الجرشى، وبشر الحافى، وثوبان بن يمرد(٢)، وذو النون المصرى، وسليم ابن عامر(٣)، والسرى السقطى، وبكر بن سهل الدمياطى، وأبو العوام ـ مؤذن بيت المقدس، وسلامة المقدس الضرير، وأبو الفرج عبد الواحد الحنبلى، والإمام الغزالى، والإمام أبو بكر الطرطوش، والإمام أبو بكر العربى، وأبو بكر الجرجانى(٤)، وأبو الحسن الزهرى.. ومئات غيرهم.

خلفاء وملوك زاروا القدس

ومن الخلفاء الذين زاروا بيت المقدس: عمر بن الخطاب، ومعاوية بن أبى سفيان(٥)، وعبد الملك بن مروان، وعمر بن عبد






العزيز، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك الذى همّ بالإقامة فى بيت المقدس، واتخاذها عاصمة لدولته بدلاً من دمشق، وأبو جعفر المنصور، والخليفة المهدى بن المنصور، وغيرهم من خلفاء الأيوبيين والمماليك والعثمانيين.

وقد درج بعض الخلفاء والملوك - بدءًا من العصر المملوكى - على كنس الصخرة وغسلها بماء الورد بأيديهم.

ومن هؤلاء: الظاهر بيبرس(٦)، والملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى، والملك الناصر محمد بن قلاوون، وأخوه السلطان حسن، والملك الظاهر برقوق، والملك الأشرف برسباى، والملك الأشرف إينال، والملك الأشرف قايتباى، والسلطان سليمان القانونى، والسلطان محمود الثانى، والسلطان عبد المجيد، والسلطان عبد العزيز، والسلطان عبد الحميد الثانى وغيرهم.

حماية بيت المقدس حق للمسلمين لا اليهود

نحن المسلمين نؤمن عن يقين نابع من الإســـلام أن بيت المقدس وما حوله إنما هو أرض مقدسة لا نستطيع أن نفرط فيها إلا إذا فرطنا فى تعاليم ديننا.

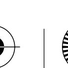
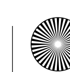
وغنى عن التأكيد أننا - وحدنا فى الأرض بالأمس واليوم -

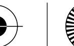
الذين نؤمن بكل الأنبياء ونكرمهم وننزههم عن كل نقص.. بدءًا من آدم وإبراهيم ونوح.. وحتى موسى وعيسى ومحمد - عليهم جميعًا السلام - وليس فى ديننا نص واحد، لا فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية الشريفة، ينسب إلى أى نبى فاحشة أو جريمة أو كذبًا.

ولا يقبل إيمان المسلم إلا إذا آمن بكل الأنبياء، وأنزلهم جميعًا منزلة كريمة ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ (البقرة:٢٨٥).

﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتى موسى وعيسى وما أُوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (البقرة: ١٣٦).

وفى القرآن الكريم عشرات الآيات التى تتناول كل نبى على حدة، تثبت له كل كريم من الخلق، وتنفى عنه كل ما حاول بعضهم إلصاقه به. وتحكى للمسلم قصة جهاده فى أداء رسالته، وما لاقاه من الأذى المادى والمعنوى لتوحى إلى المسلم أن يحذو حذوه؛ لأن رسالة الأنبياء منذ نوح وحتى محمد رسالة واحدة تنبع من مصدر




واحد، وتهدف إلى غايات واحدة، ويكمل بعضها بعضًا(٨).

وبالتالى، وانطلاقًا من هذا الإيمان الكامل نقف نحن المسلمين حماة لكل التراث والمقدسات الدينية السماوية، وذلك بأمر ديننا الذى مثّل آخر حلقة فى سلسلة الوحى السماوى، والذى حمل أتباعه - نتيجة هذا - مسئولية إنسانية عامة.

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: ١١٠).

﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾ (الحج: ٧٨).

موقف اليهود من الأنبياء والمقدسات

وإن حقيقة هذه المسئولية العامة وقيمتها لتتضح إذا قارناها بالموقف اليهودى من الأنبياء، وهو ذلك الموقف الذى لا يؤهلهم لأى لون من ألوان الحماية أو الهيمنة على أية مقدسات دينية فى الأرض.

إن التوراة نفسها والإنجيل والقرآن أيضاً تصفهم فى مواضع

عديدة بأنهم (قتلة الأنبياء) ومشوهوهم و(أولاد الأفاعى)، و(الضالون والعميان)، و(الملعونون بكفرهم).

«قال الرب: ها أنذا جالب شرًا على أورشليم، ويهوذا، وأدفعهم إلى أيدى أعدائهم غنيمة ونهبًا لجميع أعدائهم؛ لأنهم عملوا الشر فى عينى»(٩).

وتقول: «ها أنذا جالب الشر على هذا الموضع وسكانه من أجل أنهم تركونى، وأوقدوا لآلهة أخرى لكى يغيظونى بكل عمل أيديهم، فيشتعل غضبى على هذا الموضع ولا ينطفىء»(١٠).

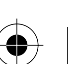
وتقول: «إن الله قال: اذهب، وقل لهذا الشعب: اسمعوا سمعًا، ولا تفقهوا، وأبصروا إبصارًا ولا تعرفوا، غلظ قلب هذا الشعب، وثقل أذنيه، وأطمس عينيه، لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه»(١١).

وتقول: «وصار مرشدو هذا الشعب مضلين، لأجل ذلك لا يفرح الرب بفتيانه، ولا يرحم يتاماه وأرامله؛ لأن كل واحد منهم منافق وفاعل شر»(١٢).

وتسجل كتبهم التاريخية أنهم قتلوا من الأنبياء (حزقيال)، و(إشعيا بن آموص)، و(آرميا)، و(زكريا)، و(يحيى بن زكريا)(١٣)، كما أنهم حاولوا قتل (عيسى)، و(محمد) عليهما الصلاة والسلام،












وتواطؤوا ضدهما وضد أتباعهما.

وفى (التوراة) أن إسرائيل (النبى يعقوب) أصر على محق العرب الكنعانيين، وعدم الاعتراف لكنعان بحق الحياة (حتى لو اعتنق العرب اليهودية)؛ لأنها دين إسرائيل وحده(١٤)، وهذا أمر محرف؛ لأن يعقوب نبى الله، ولا يصدر عنه هذا التصرف الظالم.

وفيها أيضًا أن كل البشر غير اليهود (كلاب) وخدم لليهود فى أصل الديانة، وهى تقول على لسان اليهود:

«**لم نأخذ أرضًا لعربي، ولم نستول على شىء لأجنبى، ولكنه ميراث آبائنا الذى كان أعداؤنا قد استولوا عليه ظلمًا**»(١٥).

أما (التلمود) وهو كتابهم المقدس الثانى فيقول لهم: «ملعونة كل الشعوب، ومبارك شعب اليهود».

ويقول: «استيلاء اليهود على ما يملكه القوييم (أى غير اليهود) حق، وعمل تصحبه المسرة الدائمة».

ويقول: «يستحق القتل كل القوييم (أى غير اليهود) حتى ذوي الفضل منهم»!

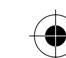
- فهل يمكن أن يؤتمن ناس هذه تعاليم كتبهم المقدسة على التراث الدينى أو على الحضارة البشرية؟! ويقول القرآن الكريم:

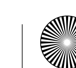
﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق﴾ (البقرة: ٦١).

- فهل يصلح ناس هذا موقفهم لحماية تراث الأنبياء؟!
- وأين موقف الإسلام والمسلمين من موقف اليهودية واليهود؟!
- ومن يا ترى أولى بحفظ هذا التراث وحمايته؟!

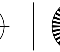
المسجد الحرام والمسجد الأقصى عند المسلمين

والمسلمون منذ أربعة عشر قرنًا ينظرون إلى بيت المقدس نظرة تقديس، على أنه مركز لتراث دينى كبير تجب حمايته، وهم يربطون ربطاً كاملاً وثيقًا بين المسجد الحرام فى مكة، والمسجد الأقصى فى القدس، وينظرون إلى (القدس) نظرة تقترب من نظرتهم إلى مكة... فإليهما يشدون الرحال، وفى كليهما تراث دينى ممتد فى التاريخ، فإذا كان أبو الأنبياء إبراهيم قد وضع قواعد الكعبة فى مكة، فإن جسده الشريف يرقد على مقربة من القدس فى الخليل - فيما يرى كثير من الرواة والمؤرخين - وإذا كان المسلمون فى كل بقاع الأرض أصبحوا يتجهون فى صلاتهم إلى المسجد الحرام، فإنهم لا ينسون أن نبيهم محمدًا وأسلافهم الصالحين قد اتجهوا - قبل نزول آيات تحديد القبلة إلى الكعبة








– إلى المسجد الأقصى أولى القبلتين... وما زالت مدينة الرسول (عليه الصلاة والسلام) تضم مسجدًا يسمى (مسجد القبلتين) شاهدًا حيًا على الترابط الدينى بين مكة والقدس، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى.

وإذا ذكر المسلم بحسه الدينى الممتد ووعيه التاريخى الإسلامى «بيت المقدس»، فإنه يذكر أنه المكان الذى كلم الله فيه موسى، وتاب على داود وسليمان، وبشر زكريا بيحيى، وسخَّر لداود الجبال والطير، وأوصى إبراهيم وإسحاق أن يدفنا فيه، وفيه ولد عيسى، وتكلم فى المهد، وأنزلت عليه المائدة، ورفع إلى السماء، وماتت مريم(١٦). إن هذا هو موقف المسلم من الأنبياء وتراثهم، ومن بيت المقدس، وهو موقف يقوم على التقدير والتقديس والشعور بالمسئولية الدينية والتاريخية.

● ● ●

وعلى العكس من هذا الإجلال الإسلامى لبيت المقدس وللأنبياء والأخيار الذين اتصلوا به – كان موقف اليهود. فكل هؤلاء الأبرار الذين ذكرناهم وغيرهم قد نالهم من اليهود كثير من الأذى، ولولا عناية الله بهم لما أدوا رسالتهم، ولولا تنزيه القرآن لهم، ودفاعه عنهم لوصل تاريخهم إلى البشرية مشوهًا بتأثير

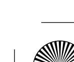
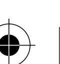
تحريف اليهود عليهم، وظلمهم لهم، كما نقلنا عن «توراتهم» فى النصوص السابقة.

● ● ●

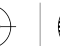
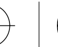
إن المسلم إزاء كل هذا يحس بمسئوليته الدينية العامة تجاه بيت المقدس، باعتباره مركزًا أساسًا لتراث النبوة.

ووفقًا لتعاليم الإسلام فإنه ليس مسلمًا من لا يحمى تراث الأنبياء – كل الأنبياء – من التدمير المادى أو التشويه المعنوى، وهو الأمر الذى سعى إليه اليهود فى كل تاريخهم على مستوى الفكر حين حرفوا التوراة، وابتدعوا التلمود وملأوها بما لا يرضى الله، ولا يقبله دين سماوى، وعلى مستوى التطبيق حين عاثوا فى كل بلاد الله الفساد، وحاربوا كل الأنبياء، وأشعلوا الحروب، وجعلوا أنفسهم شعب الله المختار، وبقية الشعوب فى منزلة الكلاب والأبقار، ولذا ينبغى على المسلم الصادق جهادهم دفاعًا عن شريعة الله الحقة، واستنقاذًا لتراثهم المعنوى والمادى، بل دفاعًا عن الحضارة الإنسانية كلها.

■ ● ■




الحــواشــي

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه الإمام أحمد فى مسنده.

(٥) انظر الأنس الجليل ١/٢٦٠ – ٢٦٦، ومحمد الفحام: المسلمون واسترداد بيت المقدس ص٣٤، وما بعدها نشر الأزهر. والإحرام جائز فى الإسلام قبل الميقات، وهو أمر معروف والمهم أن لا تتعدى الميقات.

(٦) انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٤٢٤ طبع بيروت.

(٧) الطبقات ٧/٤٦٤.

(٨) الأنس الجليل ١/٢٨٥ وما بعدها.

(٩) انظر ابن سعد/ الطبقات الكبرى ٧/٤٠٦.

(١٠) انظر د. رشاد الإمام: مدينة القدس فى العصر الوسيط ص٦٢ وما بعدها.

(١١) انظر حقيقة هذه الوحدة فى الآيات (٨٣ – ٩٠) من سورة الأنعام.

(١٢) سفر الملوك الثانى ٢١/١٢ – ١٥.

(١٣) سفر الملوك الثانى ٢١/١٦ – ١٧.

(١٤) سفر أشعيا ٦/٨–١٣.

(١٥) سفر أشعيا ٩/١٣ – ١٧.

(١٦) انظر نبيل شبيب: الحق والباطل ص١٨ نشر أخن بألمانيا.

(١٧) انظر سفر المكابين الثانى.

(١٨) انظر سفر المكابين الثانى.

(١٩) انظر الأنس الجليل ١/٢٣٩.

الفهــرس